

دلالة أولي الألباب وأثرها في السياق القرآني
"دراسة تأصيلية"

جمع وتأليف
د. أحمد عمر النعمة

مقدمة

الحمد لله الذي أكرم الإنسان واستخلفه في أرضه، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، فميزه بالعقل ودعاه إلى إعماله بالعلم والعمل، وإن أولى "مراتب العلم الفهم! وقد وردت لفظة (أولي الألباب) في ستة عشر موضعاً جاءت مرتبطة بأربعة معانٍ رئيسية لا تنفك عن بعضها البعض: التقوى، والتذكر والتدبر، والتفكير والاعتبار، وحسن الاتباع. وجميعها لا تدرك إلا بالعقل السليم والفهم السليم. وفي ذلك يقول محمد رشيد رضا: "وإنما الدرجة العليا للسمع أن تسمع فتفقه، وتعقل وتتدبر فتعتبر وتعمل"^١ والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد ذهب أولو الألباب بكل فضيلة وخير، فهم أهل الإيمان الكامل، وأصحاب البصائر النقية، والقلوب الطاهرة، والعقول الخالصة من كل شوب وكدر، وأشار القرآن الكريم إلى صفاتهم ومزاياهم، ليكونوا نبراساً ومشعل هداية للبشرية جمعاء، فيهم يتحقق قول الله تعالى: (سُنِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت: ٥٣. وعن طريقهم تحسم المسائل المتشابهة، التي يتبعها أهل الزيغ والضلال، فيبينون آيات الله المحكمة، ويقطعون الجدل، فما هي صفاتهم، وما ثمرات علمهم؟ هذا ما سيبينه البحث في مباحثه ومطالبه،

^١ تفسير المنار، ٩/٥٢٤. محمد رشيد رضا.

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)، البقرة: ٢٦٩.

أولاً-أهمية البحث:

١- تتجلى أهمية وضرورة البحث، في أنه دافع من دوافع التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى، والوقوف على أحكامه وحكمه.

٢- وأنه يفصل في بيان صفات أولي الأبواب ليكون قدوة لطلاب العلم، فيسلكون طريقهم في تتبع الأدلة والحجج، ويستنبطون بأسلوبهم وحكمتهم في تفسير النصوص.

٣- تحريك العقول لتكون كاشفة للحق والحقيقة، فمن أهم صفاتهم أنهم يشغلون عقولهم ويقيسون بين الأشياء، ويتحلون بالصبر والتقوى.

ثانياً-سبب اختيار البحث:

-لأنه من المباحث التي تفيد في تناول المسائل الشائكة، والنوازل والمستجدات، وإيجاد الحلول لها، من خلال طريقة تفكير أولي الأبواب، التي عرضتها الآيات.

-والأمر الآخر، بما أن كتابة البحوث ومسائل العلم والفتوى أصبحت في متناول العالم والجاهل، من خلال المواقع الالكترونية، صار من الواجب التحذير من تعاطي ذلك دون بحث وروية وفهم، فجاء هذا البحث لينبه إلى خطر النقول السريعة التي لا تقف على البحث والتأمل والتدبر والرجوع إلى النصوص وتنزيلها في مكانها، وهذا هو عمل أولي الأبواب.

- ضرورة لفت النظر إلى الغوص في المسائل، بعد التحلي بأدوات البحث وعلوم الآلة، وهي أهم صفات أولي الألباب. وغيرها من الأسباب.

ثالثاً- الدراسات السابقة:

١- رسالة ماجستير بعنوان (أولو الألباب في القرآن الكريم: دراسة موضوعية) للباحث محسن، دارين سالم عوض، فقد استنبط الباحث من الآيات الإرشادات والفوائد التي استقاها، ووجه إلى أهميتها في حياة الناس بشكل عام، وأهل العلم والمعرفة بشكل خاص.

٢- بحث محكم بعنوان من لطائف البيان القرآني في آيات أولي الألباب في سورة الرعد، للدكتور ربيع يوسف الجهمي. وقد اقتصر فيه الباحث على الآيات التي وردت في سورة الرعد.

٣- وبحث نشر في الألوكة، بعنوان، "أولو الألباب في القرآن من خلال تفسير المنار"، بقلم: ياسين نزال تاريخ الإضافة ١٠/٤/٢٠١٨ ميلادي - ١٤٣٩/٧/٢٤ هجري، الألوكة.

تناول فيه الباحث الآيات التي تتعلق بأولي الألباب، في تفسير المنار، ولم يتخطاه، فجاء بحثه يعالج تفسير الآيات من خلال فكر رشيد رضا، ضمن منهج استعراضي نقدي.

هذه بعض الدراسات، فقد ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر، أما هذه الدراسة فقد امتازت، بعناوين شاملة، وعناصر للموضوع هادفة، على طريقة التأصيل والتطبيق.

رابعاً-المنهج المتبع في كتابة البحث:

- عرفت عنوان البحث
- جمعت الآيات التي فيها (أولو الألباب).
- ذكرت تحرير مصطلحات البحث.
- عزوت الأقوال إلى مصدرها، ووضعتها بين " " شولتين.
- وضعت الآيات بين هلالي ().
- ذكرت أقوال المفسرين، واستخلصت منها عناوين، وفي الغالب قارنت بين الأقوال وذكرت مميزات كل مفسر.
- جمعت المتشابهات بين الأقوال، وما أضافه المفسر.
- استنبطت الأدوات التي اعتمد عليها أولو الألباب كالقياس مثلاً.
- ذكرت المراجع والمصادر اسم المؤلف والمحقق وتاريخ الوفاة والطبعة وتاريخها ودار النشر.

خطة البحث

شمل البحث على مقدمة وفيها أهمية البحث، وسبب اختياره، والدراسات السابقة وتمهيد، وفصلين ومباحث ومطالب وخاتمة وفق الآتي:

الفصل الأول: التأصيل لدلالة أولي الألباب، وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الثاني: تحرير المصطلحات.

الفصل الثاني: الميزات الأخلاقية والمعرفية لأولي الألباب وفيه مبحثان ومطالب.

المبحث الأول: الميزات المعرفية لأولي الألباب وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أولو الألباب يتمتعون بالمعرفة بالقرآن.

المطلب الثاني: يدركون الحكمة من وجود المتشابه في القرآن.

المطلب الثالث: يعملون عقولهم وقيسون الأشياء.

المطلب الرابع: يدركون الفتنة فيتجنبوها.

المطلب الخامس: يدركون (أحسن القصص).

المطلب السادس: أضواء كاشفة لخطاب الله تعالى يدركون حكم الأشياء وأحكامها.

المبحث الثاني: الميزات الأخلاقية لأولي الألباب وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الذين يوفون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاق.

المطلب الثاني: الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل.

المطلب الثالث: قانتون لرهم، يخشون.

المطلب الرابع: الإقناع العقلي من صفات أولي الألباب

الخاتمة

الفهرسة

المصادر والمراجع.

الفصل الأول: التأصيل لدلالة أولي الأبواب، تعاريف ومفاهيم وفيه

تمهيد ومبحثان:

تمهيد

لدى استعراضنا للآيات التي اختتمت (بأولي الأبواب).

(١) - التقوى ارتبطت بأولي الأبواب: ارتبطت بها في أربع آيات وتعتبر

معان رئيسة، وردت في السور والآيات الآتية:

١- سورة البقرة: ١٧٩

٢- وفي البقرة: ١٩٧

٣- وفي المائدة: ١٠٠

٤- وفي الطلاق: ١٠

(٢) - والتدبر والتذكر في تسع مواضع:

١- سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

٢- سورة آل عمران: الآية (٧).

٣- سورة الرعد: الآية (١٩).

٤- سورة إبراهيم: الآية (٥٢).

٥- سورة ص: الآية (٩).

٦- سورة ص: الآية (٤٣).

٧ - سورة الزمر: (٩).

٨ - سورة الزمر: (٢١).

٩ - سورة غافر: (٥٤).

(٣) - الاعتبار والتفكير: في موضعين:

- سورة آل عمران: (١٩٠) ..

- سورة يوسف: الآية (١١١).

(٤) - حسن الاتباع: في موضع واحد:

- سورة الزمر: الآية (١٨).

وقد قمت بدراستها في المباحث الآتية بشكل مفصل.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

في هذا المبحث، ذكرت تعريف المصطلحات التي هي أدوات البحث ولبه، وفي نهاية البحث قاطعت بين المعاني وفروقاتها، للوصول إلى النتيجة التي ترسم لنا منهج أولي الأبواب.

١- اللبّ: لب الرجل ما جعل في قلبه من العقل، وجمع اللب: ألباب.^٢

قال ابن فارس في معجمه: " (لب) اللام والباء. أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة. فالأول ألب بالمكان، إذا أقام به، يلب إلبابا. ورجل لب بهذا الأمر، إذا لازمه والمعنى الآخر اللب معروف، من كل شيء، وهو خالصه وما ينتقى منه، ولذلك سمي العقل لباً. ورجل لبيب، أي عاقل. وقد لب يلب. وخالص كل شيء لبابه.^٣

٢- العقل: هو العلم الأول الذي يزجر عن القبائح وكل من كان زاجره أقوى كان أعقل.^٤

^٢ كتاب العين ٣١٧/٨. المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ).

^٣ معجم مقاييس اللغة ٢٠٠/٥، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ).

^٤ الفروق اللغوية ٨٣/١.

٣- **القلب**: لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ويسميتها الحكيم: النفس الناطقة، والروح باطنه، والنفس الحيوانية مركبة، وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب، والمطالب، والمعاتب".^٥

٤- **الحكمة**: "الحكمة مرجعها إلى العدل والعلم والحلم. وهي إصابة الحق في القول والعمل. ويقال: أحكمته التجارب إذا كان حكيماً".^٦ والحكمة: التي جاءت في الخبر الحكمة ضالة المؤمن فكل كلمة وعظمتك وزجرتك ودعتك إلى مكرمة أو نحتك عن قبيح فهي حكمة وحكم. وهو تأويل قوله ﷺ: "إن من الشعر لحكماً وإن من البيان لسحراً".^٧

٥- **أما الفؤاد**: فهو قلب وعاطفة. جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: فؤاد، مفرد: ج أفئدة: ١ - قلب "انفطر فؤاد الأم على ولدها- (ما كذب الفؤاد ما رأى)، (كذلك لثبت به فؤادك) - (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) حديد الفؤاد: متوقد الذهن- فارغ الفؤاد: خال من الهم والحزن

^٥ كتاب التعريفات ١/١٧٨، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

^٦ العين ٦٦/٣.

^٧ ذكره أبو بكر الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١/٨٥.

أو سيئ الحال لا أمل فيه. ٢ - عقل "إنه راجح الفؤاد، (ما كذب الفؤاد ما رأى)"^٨.

٦- **الفكر**: اسم التفكير. والتفكير: تحليل المعلومات، يقال: فكر في أمره وتفكر. ورجل فكير: كثير التفكير. - والفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول-^٩.

٧- **النتهى**: إنها تفيد أن الموصوف بها يصلح أن ينتهي إلى رأيه"^{١٠}.

٨- **الحجا**: "هو ثبات العقل من قولهم تحجى بالمكان إذا أقام به"^{١١}.

٩- **التذكر**: "هو عبارة عن دوام التنبه والانتباه للحق سبحانه وتعالى على سبيل الذوق، والبعض عبر بهذا (الحضور الشهودي _ لا غيب فيه) وعند

^٨ معجم اللغة العربية المعاصرة ١٦٥٩/٣ مؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
^٩ العين ٣٥٨/٥.

^{١٠} الفروق اللغوية ٨٣/١.

^{١١} الفروق اللغوية ٨٢/١.

أهل التحقق المشاهدة أي استيلاء شهود الحق على القلب بواسطة الحب الذاتي، كناية عن حصول الاستذكار أو التذكر".^{١٢}

١٠-الصدر: والجمع: صدور، قال الله تعالى: (ولكن تَعْمَى القلوبُ التي في الصدور)، الحج: ٤٦. ١٣

١١- العاطفة: "استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة، والقيام بسلوك معين حيال شيء، أو شخص، أو جماعة، أو فكرة معينة، ففيها إذا انفعال، وتصور، وفعل؛ كالعواطف الدينية، أو الخلقية، أو الاجتماعية".^{١٤}

^{١٢} دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ١٣٤/٤، المؤلف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

^{١٣} معجم مقاييس اللغة ٣/٣٣٧.

^{١٤} المعجم الفلسفي؛ جميل صليبا- حرف العين.

المبحث الثاني: تحرير المصطلحات

(اللب، والعقل، القلب، والحكمة، والفؤاد، والفكر، النهى، التذكر،
والصدر، العاطفة).

في مستهل هذه الدراسة، لابدّ من لفت النظر إلى أن هذه الدراسة
محورها قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) البقرة: ٢٦٩.

ومصطلحاتها، اللب، والعقل، القلب، والحكمة، والفؤاد، والفكر، النهى،
التذكر، والصدر، العاطفة.

وسوف أقف على تعريفها وأذكر فروقاتها، بغرض الوصول إلى ما يتمتع به
أولو الألباب من ميزات وصفات وقدرات تعين على التدبر والتأمل في
كتاب الله تعالى، (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا). محمد: ٢٤.

اللب: لب الرجل ما جعل في قلبه من العقل، وجمع اللب: ألباب.^{١٥}
فالفراهيدي اختصر وصف صاحب اللب، (بالقلب العاقل)، وهو بذلك
يكون قد جمع بين الفكر والقلب والعاطفة.

^{١٥} كتاب العين ٣١٧/٨. المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي
البصري (المتوفى: ١٧٠هـ).

أما اللغوي ابن فارس: فإنه وصف اللبّ باللزوم والثبات، والجودة والخلوص، أي بزيادة الشيء وخلاصته. قال في معجمه: " (لب) اللام والباء. أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودة. فالأول ألْب بالمكان، إذا أقام به، يلب إلبابا. ورجل لب بهذا الأمر، إذا لازمه والمعنى الآخر اللب معروف، من كل شيء، وهو خالصه وما ينتقى منه، ولذلك سمي العقل لباً. ورجل لبيب، أي عاقل. وقد لب يلب. وخالص كل شيء لبابه.^{١٦}

الفرق بين العقل واللب: وإذا أردنا أن نعرف الفرق بين اللب وبين العقل والنهى والحجا، فيمكن أن نقول: اللب أصل ثابت وخلاصة الخلاصة في الوصف، فهو يشمل كل من (العقل والنهى والحجا)، قال العسكري: إن قولنا اللب يفيد أنه من خالص صفات الموصوف به. والعقل: يفيد أنه يحصر معلومات الموصوف به فهو مفارق له من هذا الوجه ولباب الشيء ولبه خالصه ولما لم يجوز أن يوصف الله تعالى بمعان بعضها أخلص من بعض لم يجوز أن يوصف باللب".^{١٧}

^{١٦} معجم مقاييس اللغة ٢٠٠/٥، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ).

^{١٧} الفروق اللغوية ٨٤/١ المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

والفرق بين العقل والنهي: "أن النهى: هو النهاية في المعارف التي لا يحتاج إليها في مفارقة الأطفال ومن يجري مجراهم وهي جمع واحدتها النهيّة. ويجوز أن يقال: إنها تفيد أن الموصوف بها يصلح أن ينتهي إلى رأيه وسمي الغدير نهيًا لأن السيل ينتهي إليه. والنتهيّة المكان الذي ينتهي إليه السيل والجمع التناهي وجمع النهى أنه وأنهاء.

والمتأمل في هذه المصطلحات (المفردات)، يجد بأن اللبّ، حوى في معناه جميع هذه المفردات، فهو عقل من حيث هو العلم الأول، وقلب من حيث هو نفس ناطقة مدركة وروح باطنة، وفؤاد، الذي هو قلب وعاطفة، ونهى إذ هي نهاية المعارف، وحجا، وهو ثبات العقل، وتفكر، والفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول. وتذكر: والتذكر: دوام التنبه والانتباه، وصدر؛ وهو وعاء القلب، وعاطفة، والعاطفة: انفعال، وتصور، وفعل، وحكمة، وهي: وهي إصابة الحق في القول والعمل.

ف (أولو الألباب):

مادتهم الحكمة، ووعاؤهم القلب والصدر والفؤاد، ومعارفهم، النهى والحجا والفكر والتذكر. قال أبو علي الفارسي: "التذكر هنا أشبه من الذكر، لأنه كأنه يراد به التدبّر، وليس التذكّر الذي بعد نسيان المعنى، أي، ليتدبروه

بعقولهم، وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم.^{١٨} ولهذا كانوا الأمثلة الراقية التي جمعت الخير كله، والفضل كله، والرحمة العالمية كلها، وسنرى في سياق الآيات التي هي مادة الدراسة (دلالة أولو الأبواب في القرآن)، كل هذه المعاني التي سبق ذكرها، (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) البقرة: ٢٦٩.

^{١٨} م الحجة للقراء السبعة ١٠٤/٥ المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جوي جابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار المأمون.

الفصل الثاني: الميزات المعرفية والأخلاقية لأولي الألباب وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الميزات المعرفية لأولي الألباب وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أولو الألباب يتمتعون بالمعرفة بالقرآن الكريم.

ويتمتعون بالتفكير بالخير المطلق، الناتج عن الحكمة التي إصابة الحق في القول والفعل، عملاً بقول الله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) البقرة: ٢٦٩. عن ابن عباس ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله. قال مجاهد: العقل والعفة والإصابة في القول.

قال إبراهيم النخعي: الفهم في القرآن ثم قال تعالى: (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) أي ولم يفكر فكرياً يذكر به ما قص من الآيات إلا ذوو العقول ومن فهم الله عز وجل أمره ونهيهِ^{١٩}

^{١٩} معاني القرآن ٢٩٩/١ المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) المحقق:

محمد علي الصابوني الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرممة الطبعة: الأولى، م ١٤٠٩

المطلب الثاني: أولو الألباب يدركون الحكمة من وجود المتشابه في

القرآن الكريم

أ- في وجود المتشابه تدريب للعقول على التأمل والنظر، وفي هذا التدريب لذة لا يعرفها إلا أولو الألباب، فكلما أدرك العالم بعقله وجهًا من وجوه الترجيح وفق ما لديه من القرآن شعر بنشوة غامرة، ورغبة ملحة في مواصلة البحث والاستنباط.^{٢٠}

ب- قال الكرجي في النكت: "ومما يسأل عنه الملحدون هذه الآية، وذلك أنهم يقولون: لم أنزل في القرآن المتشابه والغرض به هداية الخلق؟ والجواب: أنه أنزل للاستدعاء إلى النظر الذي يوجب العلم دون الاتكال على الخبر من غير نظر، وذلك أنه لو لم يعلم بالنظر أن جميع ما أتى به النبي ﷺ حق لجوز أن يكون الخبر كذباً وبطل دلالة السمع"^{٢١}. "حجة على القدرية والمعتزلة واضحة لو تدبروه، ولا كتفوا به من سائر، ما عليهم في غيره من كتابه، وذلك أنه وصف الزائغة قلوبهم باتباع متشابهه ابتغاء تأويله، ثم

^{٢٠} دراسات في علوم القرآن ١٨٣/١ المؤلف: محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المنار الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

^{٢١} النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) ١٧٢/١ المؤلف: علي بن فضال بن علي بن غالب المجاشعي القيرواني، أبو الحسن (المتوفى: ٤٧٩هـ) دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ -

آيسهم من بلوغه بما أخبر من انفراده بعلمه دون جميع الخلق، ووصف بالفتنة من ابتغى علمه فصار الطمع في بلوغ علم التشابه به بعد انفراد الجليل به، والخوض في تصرفه تقدما إلى الباطل على بصيرة، وجهلاً لا يعذر أحد به، ووصف الراسخين في العلم بصفة، ومدحهم بقول ظن القدرية والمعتزلة أنهم أسعد بهما من خصومهم، وأن خصومهم هم المتبعون متشابهه، ولو تأملوا بعض ما مدح به الراسخون لانعكست ظنونهم وفضلوا بالتزام ما نحلوا خصومهم من حيث لا التباس فيه.^{٢٢}

\

^{٢٢} النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ١/١٩٩ المؤلف: أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي القصاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ) تحقيق: علي بن غازي التويجري دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

المطلب الثالث: أولو الألباب يعملون عقولهم وقيسون الأشياء

وهذا واضح في الآية التي أعطتهم هذا الوصف، قال الله تعالى: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) آل عمران: ٧.

جاء في التفسير القرآني للقرآن: " وهذا موقف يجب أن يتملأه العقلاء، ويتنفع به أولو الألباب، وذلك بقياس الغائب على الشاهد، والبعيد على القريب، وإحالة المتشابه على المحكم! ^{٢٣} وفي الآية فائدة أيضاً:

أ- الشهادة لأهل الإيمان - لا لغيرهم - الذين كفروا بالطاغوت، وأنابوا إلى الله بتوحيده، وإخلاص الدين له بأنهم أولو الألباب، ورد ذلك في الآية الأولى في قوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ). وفي الآية الثانية بقوله: (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا)

ب- أن العقل قادر - عندما يعمل في تدبر آيات الله وما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الذي هو أحسن القول والحديث - على المقايسة والتمييز بين الحق والباطل والحسن والقبيح، وأن هذه الخاصية تميز بها أهل الإيمان والعلم وبها اكتسبوا الوصف بأنهم أولو الألباب. ورد هذا

^{٢٣} التفسير القرآني للقرآن ٤٠٦/٢ المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)

الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة

المعنى في قوله: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)، أي أنهم يعملون
عقولهم في تدبر القول الحسن وهو الوحي المطهر فيتبين لهم الحسن من
القبیح والحق من الباطل فيتبعون الحسن".^{٢٤}

^{٢٤} الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ٢/١٦٤

المطلب الرابع: أولو الألباب يدركون الفتنة فيتجنبوها

هذا الجانب نبه البقاعي إليه في معرض قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ...) ولا شك في أن قصة الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات العلى كان يقظة لا مناماً بالدليل القطعي المتواتر من تكذيب من كذب وارتداد من ارتد، وهذا مذهب الجمهور وأهل السنة والجماعة، وقد ورد في صحته ما لا يحصى من الأخبار - هذا النقل، وأما الإمكان العقلي فثابت غير محتاج إلى بيان، فإن كل ذرة من ذرات الموجودات فيها من العجائب والغرائب والدقائق والرقائق ما يتحير فيه العقول، لكن لما كان على وفق العادة ألفته الطباع، فلم تنكره الأبصار ولا الأسماع، وأما مثل هذا فلما كان على خلاف العادة استنكره ضعفاء العقول الذين لا يتجاوز فهمهم المحسوسات، على ما ألفوا من العادات، وأما أولو الألباب الذين سلموا من نزعات الشيطان ووساوس العادة، ونظروا بأعين البصائر إلى آثار رحمة الله في صنع المصنوعات وإحداث المحدثات في الملك والملكوت، والشهادة والغيب، والخلق والأمر، فاعترفوا به، وأنه من عظيم الآيات، وبدائع الدلائل النيرات، وأدل دليل على ذلك قوله تعالى: (فتنة) لأنه لو كان رؤيا منام لم يكن بحيث يستبعده أحد فلم يكن فتنة، ولعله إنما سماه

رؤيا - وهي للمنام - على وجه التشبيه والاستعارة، لما فيه من الخوارق التي
هي بالمنام أليق في مجاري العادات"^{٢٥}

^{٢٥} نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١/٤٥٨

المطلب الخامس: أولو الألباب يدركون (أحسن القصص)

أي محتوى القرآن واشتماله على جميع الكتب السابقة، وفي هذا يقول الشعراوي: " في تفسيره: قال الحق سبحانه: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...) يوسف: ١١١ والعبرة قد تمر، ولكن لا يلتفت إليها إلا العاقل الذي يُمَحِّصُ الأشياء، أما الذي يمرُّ عليها مُرور الكرام؛ فهو لا يستفيد منها. و«أولو الألباب» هم أصحاب العقول الراجحة، و«الألباب» جمع «لُبّ». واللُب: هو جوهر الشيء المطلوب؛ والقشْر موجود لصيانة اللُبِّ، وسمِّيَ العقل «لُبّاً» لأنه ينثر القشور بعيداً، ويعطينا جوهر الأشياء وخيره^{٢٦}."

"وقال الطبري: بتعبير دقيق محكم: يعني، إلا أولوا العقول، الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيه. فأخبر جل ثناؤه أن المواعظ غير نافعة إلا أولي الحجا والحلوم، وأن الذكرى غير ناهية إلا أهل النهى والعقول^{٢٧} فأسند الأمور النافعة على الحجا والحلوم، ومعالجة الأمور الضارة على النهى والعقول.

^{٢٦} تفسير الشعراوي - الخواطر ١٢/٧١٤٢ المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)

الناشر: مطابع أخبار اليوم

^{٢٧} جامع البيان في تأويل القرآن ٥/٥٨٠ المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب

الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)

أما الشيخ محمد أبو زهرة: "فأعطى لأولي الأبواب معنى زائداً متمماً لما طرحه الطبري، فقال معلقاً على قوله تعالى: (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَبْوَابِ)،

١- للإشارة إلى أن الله سبحانه الذي يعطي حكمته من يشاء لا يعطيها إلا للذين خلصوا قلوبهم من الفاسد والملاذِّ الأرضية، ولم يجعلوها حاكمة على قلوبهم، متحكمة في تفكيرهم.

٢- وللإشارة إلى أن الذين يجيبون داعي الله، ويردون داعي الشيطان هم ذوو العقول المستقيمة، فلا يتحكم الشيطان إلا في غفوة من غفوات العقل المدرك " وللحث على وجوب تذكر الله دائماً، وأن على ذوي العقول أن يتجهوا بعقولهم دائماً لله ليتذكروا ويعتبروا، ويستبصروا، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"^{٢٨}

^{٢٨} زهرة التفاسير ١٠١١/٢ المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي

المطلب السادس: أولو الألباب أضواء كاشفة لخطاب الله تعالى يدركون حكم الأشياء وأحكامها

وهذا المعنى بينه عبد الكريم الخطيب في كتابه التفسير القرآني للقرآن فقال:
(وليذكر أولو الألباب)، الذين ينبغي لهم ألا يمروا بآية من آيات الله، دون
أن يلتقطوا منها عبرة، أو يأخذوا منها موعظة. وننظر في الآية الكريمة نظرة
شاملة: «هذا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ
أُولُو الْأَلْبَابِ».. ننظر فنجد: أولاً: أن القرآن الكريم هو بلاغ للناس جميعاً،
يحمل في مضامينه أضواء مشعة، تكشف الطريق إلى الهدى والإيمان: «هذا
بَلَاغٌ لِلنَّاسِ».

وثانياً: أنه مع هذا البلاغ المبين، وذلك البيان الكاشف، فإن كثيراً من
الناس لا تكتحل أبصارهم بهذا النور، ولا تتفتح قلوبهم لهذا الخير.. وكلّ
حظهم من هذا البلاغ المبين أنه حجة عليهم، وإنذار لهم بالعذاب الأليم:
«وَلِيُنذَرُوا بِهِ».

وثالثاً: أن الذين نظروا في آيات الله، وأعطوها آذانهم وقلوبهم، قد عرفوا بها
طريقهم إلى الله، وعلموا أنه إله واحد، لا شريك له.. «وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ
وَاحِدٌ».

ورابعاً: أن في هذا الذي انكشف من أمر الناس، وموقفهم من الآيات. بين ضال لم يزد هذا البلاغ المبين إلا عمى وضلالاً. وبين مهتد، زاده هذا البلاغ المبين هدىً وإيماناً- في هذا وذلك عبرة وعظة، فليعتبر بهذا أهل البصائر، وليتذكر أولو الألباب والعقول.. الذين هم أهل لهذا الخطاب المبين، من رب العالمين.^{٢٩}

^{٢٩} التفسير القرآني للقرآن، ٢٠٧/٧

الفصل الثاني: الميزات الأخلاقية والمعرفية لأولي الألباب وفيه مبحثان

المبحث الأول: الميزات الأخلاقية لأولي الألباب وفيه ستة مطالب:

اجتمعت جل أخلاقهم في قوله تعالى في سورة الرعد (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرِئُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) ٣٠ الآيات ٢٠ إلى ٢٤.

المطلب الأول: يوفون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاق

عهد الله مطلق يشمل كل عهد، وميثاق الله مطلق يشمل كل ميثاق. والعهد الأكبر الذي تقوم عليه العهود كلها هو عهد الإيمان والميثاق الأكبر الذي تتجمع عليه المواثيق كلها هو ميثاق الوفاء بمقتضيات هذا الإيمان. ثم تترتب على العهد الإلهي والميثاق الرباني كل العهود والمواثيق مع البشر. سواء مع الرسول أو مع الناس.

٣٠ التفسير الواضح ٢٣٦/٣ المؤلف محمد محمود حجازي الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت

ذوي قرابة أو أجنب. أفرادا أم جماعات. فالذي يرعى العهد الأول يرعى سائر العهود، لأن رعايتها فريضة والذي ينهض بتكاليف الميثاق الأول يؤدي كل ما هو مطلوب منه للناس، لأن هذا داخل في تكاليف الميثاق. فهي القاعدة الضخمة الأولى التي يقوم عليها ببيان الحياة كله. يقررها في كلمات.

"وبذلك العهد قد أودع الله في فطرة العقول السليمة دلائل الوجدانية لمن تأمل وأسلم للدليل".^{٣١}

^{٣١} التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ١/٢٧٣، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر — تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

المطلب الثاني: يصلون ما أمر الله به أن يوصل

التعبير - بما - مطلق الأمر دون تقييد فكل ما أمر الله به أن يوصل يصلونه. أي أنها الطاعة الكاملة والاستقامة الواصلة، والسير على السنة ووفق الناموس بلا انحراف ولا التواء. لهذا ترك الأمر مجملاً، ولم يفصل مفردات ما أمر الله به أن يوصل، لأن هذا التفصيل يطول، وهو غير مقصود، إنما المقصود هو تصوير الاستقامة المطلقة التي لا تلتوي، والطاعة المطلقة التي لا تتفلت، والصلة المطلقة التي لا تنقطع.. ويلمح عجز الآية إلى الشعور المصاحب في نفوسهم لهذه الطاعة الكاملة".^{٣٢}

^{٣٢} في ظلال القرآن ٤/٢٠٥٦..

المطلب الثالث: قانتون لربهم، يخشونه

(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ).
الزمر: ٩.

والقانت: الذاكر لله كما قال: (أَمَّنْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)، الزمر: ٩، وقيل: القانت: العابد. هـ قانت، لأنه ذاكر لله وهو قائم على رجليه. فحقيقة القنوت العبادة والدعاء لله في حال القيام ويجوز أن يقع في سائر الطاعة لأنه إن لم يكن قيام بالرجلين فهو قيام بالشيء بالنية. ويقال للمصلي قانت.

قال: والمشهور في اللغة أن القنوت الدعاء. وحقيقة القانت أنه القائم بأمر الله، فالداعي إذا كان قائماً خص بأن يقال:

، (وَيُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) أي خشي وعيده سبحانه والظاهر أن المراد به مطلقاً عند تجلي الصفات في مقام القلب فيشاهدون جلال صفة العظمة ويلزمهم الهيبة

والخشية وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ عند تجلي الأفعال في مقام النفس فينظرون إلى البطش والعقاب فيلزمهم الخوف".^{٣٣}

الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب.^{٣٤} والخوف يتعلق بالمكروه ويترك المكروه تقول خفت زيدا كما قال تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وتقول خفت المرض كما قال سبحانه (ويخافون سوء الحساب).^{٣٥}

^{٣٣} روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٦٧/٧، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

^{٣٤} في ظلال القرآن ٢٠٥٧/٤ المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ

^{٣٥} الفروق اللغوية ٢٤١/١ المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ).

المطلب الخامس: صبروا ابتغاء وجه ربهم

صبروا عما دون الله تعالى بالله سبحانه لكشف أنوار وجهه الكريم أو صبروا في سلوك سبيله سبحانه عن المألوفات طلباً لرضاه^{٣٦} والصبر: ملاك استقامة الأعمال ومصدرها فإذا تخلق به المؤمن صدرت عنها الحسنات والفضائل بسهولة، ولذلك قال الله تعالى: (إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) العصر: والمعنى أنهم صبروا لأجل أن الصبر مأمور به من الله لا لغرض آخر كالرياء ليقال ما أصبره على الشدائد ولا لقاء شماتة الأعداء. والمراد الصبر على مشاق أفعال الخير ونصر الدين.^{٣٧}

^{٣٦} روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٦٧/٧.

^{٣٧} روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٦٧/٧.

المطلب السادس: أقاموا الصلاة وينفقون

الصلاة فلأنها عماد الدين وفيها ما في الصبر من الخاصية لقوله تعالى: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وقوله تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)، البقرة: ٣٨٤٥

والإنفاق: هو إخراج المال من الملك. والإنفاق: أصله الزكاة، وهي مقارنة للصلاة كلما ذكرت، ولها الحظ الأوفى من اعتناء الدين بها، ومنها النفقات والعطايا، كلها، وهي أهم الأعمال، لأن بذل المال يشق على النفوس فكان له من الأهمية ما جعله ثانيا للصلاة".^{٣٩}

^{٣٨} روح المعاني ١٦٦/٧.

^{٣٩} روح المعاني ١٢٤/١٣.

المبحث الثاني: الميزات المعرفية لأولي الألباب وفيه مطالب

المطلب الأول: يتبعون أرشد القول

قال الله تبارك وتعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ)، الزمر: ١٨.

جعل الطبري لأولي الألباب معنى زائداً فركز على أنهم يتصفون بالرشاد

والرشد: "هو الاستقامة على طريق الحق. والرشاد: خلاف الغي والطريق
الأرشد: نحو الأقصـد"^{٤٠}:

" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون
القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل
بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا
يهدي إلى سداد. وقوله: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ) يقول تعالى ذكره: الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هداهم الله، يقول: وفقهم الله للرشاد

^{٤٠} الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢/٤٧٤. المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري
الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت
الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

وإصابة الصواب، لا الذين يعرضون عن سماع الحق، ويعبدون ما لا يضرّ، ولا ينفع. وقوله: (أُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ) يعني: أولو العقول والحجا.^{٤١}

وقال الثعالبي في الجواهر الحسان: في قوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ): تنبيهٌ على لزوم الطَّيِّبِ في المعتقد والعمل، وحُصَّ أُولُو الْأَلْبَابِ بالدِّكْرِ لأنهم المتقدِّمون في مَيزِ هذه الأمور، والذين لا ينبغي لهم إهمالها مع ألباهم وإدراكهم.^{٤٢}

^{٤١} تفسير الطبري ٢٧٢/٢١

^{٤٢} ٤٢٦/٢

المطلب الثاني: أولو الألباب متبعون لا مقلدون

قال صديق خان في فتح البيان:

في قوله تعالى: (فيتبعون أحسنه): وفي الآية إشارة إلى إيثار الاتباع، وترك التقليد، لأن الله قد أثنى على المتبعين بكونهم مهديين، وسماهم أولي الألباب، ولم يثن على التقليد ولا على أهله في موضع من القرآن الكريم، بل ذمه وذمهم في غير موضع كما تقدم مراراً ثم ذكر سبحانه من سبقت له الشقاوة وحرَم السعادة".^{٤٣}، وهذه مسؤولية العلماء لا العوام.

^{٤٣} فتح البيان في مقاصد القرآن ٩٦/١٢ المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)

المطلب الثالث: أول الألباب متدبرون متذكرون بحذاقة

للاراغب الأصفهاني كلام دقيق، يصف فيه أولو الألباب أدق وصف ما سبق إليه، فلديهم السبل والأدوات في قنص المعنى الحقيقي والفهم الثاقب فيه، قال شارحاً تدبرهم وتذكرهم الذي جاء في قوله تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)، ص: ٢٩. " فإن كان ما ورد فيه ذلك أمراً أو نهيّاً عقلياً فزرع في كشفه إلى الأدلة العقلية، وإن كان أمراً شرعياً فزرع في كشفه إلى آية محكمة أو سنة مبينة، وإن كان من الأخبار الاعتقادية فزرع إلى الحجج العقلية. وإن كان من الأخبار الاعتبارية فزرع فيه إلى الأخبار الصحيحة المشروحة في القصص.^{٤٤}

ولابن كثير قريب من المعنى الذي طرحه الأصفهاني، فقد قال في قوله تعالى: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) أي: تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني، وتنزلونها على المراد منها، كما قال تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) العنكبوت: ٤٣. ^{٤٥}

^{٤٤} تفسير الراغب الأصفهاني ١٢/١ المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م للتراث - دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

^{٤٥} تفسير ابن كثير ٦٩٦/١

ولا بن عادل، بيان يصب في تبين صفات أولو الألباب قال في تفسير قوله تعالى: (أولئك الذين هَدَاهُمُ اللَّهُ وأولئك هُمُ أُولُو الألباب) وفي هذه الآية لطيفة وهي أن حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد له من فاعل وقائل أما الفاعل فهو الله تعالى وهو المراد من قوله (أولئك الذين هَدَاهُمُ الله)، وأما القائل فإليه الإشارة بقوله: (وأولئك هُمُ أُولُو الألباب)، فإن الإنسان ما لم يكن عاقلاً كاملاً الفهم امتنع حصول هذه المعارف والحقيقة في قلبه.

وقال الباقلاني: "وعلى حسب ما آتى من الفضل، وأعطى من الكمال والعقل، تقع الهداية والتبيين، فإن الأمور تتم بأسبابها، وتحصل بآلتها"^{٤٦} وقال النسفي: "أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا"^{٤٧}.

^{٤٦} إعجاز القرآن للباقلاني ٣٠٣/١ المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)

المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

^{٤٧} تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ١٥١/٢، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن

أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)

المطلب الرابع: الإقناع العقلي من صفات أولي الألباب

"قيام الدعوة إلى الإيمان على الإقناع العقلي: وتظهر سمات ذلك بأساليب شتى؛ مثل: ١- الدعوة إلى التفكير والتدبر في كتابه (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)، ثم يستثير العقل الإنساني متحدياً له أن يأتي بمثل هذه القرآن، حتى إذا ما عجز سلم مقتنعاً بأنه من عند الله (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ)، (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ).

ودعا العقل إلى التدبر في مخلوقات الله (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ)، ثم يستثيره مرة أخرى أن يجد خلافاً في شيء منها حتى إذا ما عجز زاد تسليماً واقتناعاً (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاقُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِير).

ودعاه إلى التدبر في تشريعاته، ففيها عبرة وفيها إعجاز (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

ودعاه إلى التدبر والنظر في أحوال الأمة الماضية وعاقبة معاصيهم التي أصروا عليها (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ).

هذه بعض مظاهر التأمل التي دعا القرآنُ العقلَ إليها، وهو حين يدعوه إلى ذلك لا يريد منه أن يقف عند حدود التأمل والنظر، فليس ذلك بمراد لذاته؛ وإنما ليعبر منه إلى ثمرته وفائدته؛ فيقوم به عقيدته، ويرسي أركانها، ويثبت قواعدها ثباتاً لا تزعزع هبات؛ بل رياح الشهوات؛ وحينئذ يكون الفلاح، وحينئذ يكون الإيمان الحق؛ ذلكم هو المراد وهو الهدف؛ لكنه ليس هو نهاية المطاف.

الخاتمة

دلالة (أولي الألباب في القرآن الكريم)، من الموضوعات المهمة والتي تصب في التنبيه والتحذير من هجر القرآن الكريم، وأعظم الهجر وأخطر قراءته دون تعقل، أو الاستشهاد في غير موضعه، أو تفسيره دون مستند من قرآن أو سنة أو إجماع.

والآيات التي تحدثت عن صفات أولي الألباب ومزايهم، تدعو إلى التدبر الأمثل، (وما يعقلها إلا العالمون).

المصادر والمراجع

- ١- كتاب العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ).
- ٢- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ).
- ٣- كتاب التعريفات ١/١٧٨، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- ٤- ذكره أبو بكر الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١/٨٥.
- ٥- معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/١٦٥٩ مؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م
- ٦- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٤/١٣٤، المؤلف: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني

فحص الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت الطبعة:
الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- ٧- المعجم الفلسفي؛ جميل صليبا- حرف العين.
- ٨- الفروق اللغوية ٨٤/١ المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله
بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو
٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار
العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
- ٩- م الحجة للقراء السبعة ١٠٤/٥ المؤلف: الحسن بن أحمد بن
عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) المحقق:
بدر الدين قهوجي - بشير جوي جابي راجعه ودققه: عبد
العزیز رباح - أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار المأمون.
- ١٠- معاني القرآن ٢٩٩/١ المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن
محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ) المحقق: محمد علي الصابوني الناشر:
جامعة أم القرى - مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٠٩م
- ١١- دراسات في علوم القرآن ١٨٣/١ المؤلف: محمد بكر إسماعيل
(المتوفى: ١٤٢٦هـ) الناشر: دار المنار الطبعة: الثانية
١٤١٩هـ-١٩٩٩م

- ١٢- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) ١/١٧٢ المؤلف: علي بن فضال بن علي بن غالب المجاشعي القيرواني، أبو الحسن (المتوفى: ٤٧٩هـ) دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
- ١٣- التفسير القرآني للقرآن ٢/٤٠٦ المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة
- ١٤- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ٢/٤١٦
- ١٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١/٤٥٨
- ١٦- تفسير الشعراوي - الخواطر ١٢/٧١٤ المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) الناشر: مطابع أخبار اليوم
- ١٧- جامع البيان في تأويل القرآن ٥/٥٨٠ المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)
- ١٨- زهرة التفاسير ٢/١٠١١ المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي

- ١٩- التفسير الواضح ٢٣٦/٣ المؤلف محمد محمود حجازي
الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ
- ٢٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من
تفسير الكتاب المجيد» ٢٧٣/١، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد
بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)
الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- ٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٦٧/٧،
المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي
(المتوفى: ١٢٧٠ هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار
الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
- ٢٢- في ظلال القرآن ٢٠٥٧/٤ المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين
الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ) الناشر: دار الشروق - بيروت -
القاهرة الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ
- ٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٤٧٤/٢. المؤلف: أبو
نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣ هـ)
تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين -
بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- ٢٤- فتح البيان في مقاصد القرآن ٩٦/١٢ المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)
- ٢٥- تفسير الراغب الأصفهاني ١٢/١ المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م للتراث - دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
- ٢٦- تفسير ابن كثير ٦٩٦/١
- ٢٧- إعجاز القرآن للباقلاني ٣٠٣/١ المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧ م
- ٢٨- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ١٥١/٢، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)

